شمولية الثورة الحسينية

من أهمّ سمات النهضة الحسينية وعوامل انتصارها هو أنّها لم تكن محدودة الأهداف أو مقتصرة على فئة معيّنة؛ فقد جاءت لتعلن انتصارها للإنسانية المسلوبة وإرجاع الحقوق الضائعة جرّاء التمييز والطبقية؛ فجيش الإمام الحسين (عليه السلام) رغم قلّته فقد تجسّدت فيه الإنسانية والعالمية. وتمثّلت عالمية الثورة الحسينية من خلال تأثّر الكثير بهذه الثورة، بل من غير المسلمين من أهل الديانات الأُخرى في العالم، والشاهد على ذلك المقالات والأقوال الكثيرة. كما أنّ عالميتها واضحة من جانب آخر، ألا وهو عالمية الرسالة الإسلامية التي جاء بها النبيّ محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وبالتالي عالمية رسالة الأئمّة (عليهم السلام)، ومنهم الإمام الحسين (عليه السلام)؛ لذا فإنّ مَن يريد اختزال القضية الحسينية وحصرها بشعب معيّن، أو طائفة معيّنة، فهو مخطئ، يحتاج إلى إعادة النظر في كلّ منظومته المعرفية.

فالقضية الحسينية انطلقت وفق أهداف إنسانية بحتة، هدفها تحرير الإنسانية جمعاء بما تحمله من أهداف وقيم وتضحيات ونماذج مشرِّفة، فهي قضية عامّة لكلّ بني الإنسان لا تختصّ بفئة معيّنة من الناس، ولا بمكان معيّن من الأرض، وهذا الأمر يتّضح عبر شعارات النهضة، وأقوال قائدها: «ألا وإنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجورٌ طابت وطهرت، وأنوفٌ حميّة، ونفوسٌ أبيّة من أن نُؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا وإنّي زاحف بهذه الأُسرة على قلّة العدد، وخذلان الناصر». وقوله (عليه السلام): «فإنّي لا أرى الموت إلّا سعادة، والحياة مع الظالمين إلّا برماً». وكذلك قوله (عليه السلام): «والله، لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أُقرّ لكم إقرار العبيد». وكلّها مبادئ وشعارات يتمسّك بها جميع الأحرار والثوار أُسوة بالإمام الحسين (عليه السلام).

لا يخفى أنّ واقعة عاشوراء وما جرى فيها من أحداث مأساوية هزّت الضمير الإنساني، إلى جانب القيم المعنوية الراقية والمفاهيم الإسلامية التي جسّدت فيها. مثّلت عاشوراء مدرسة من العطاء الفكري والمعنوي والقيمي لا حدود له، كما أنّ السمو المعنوي لعاشوراء الحسين (عليه السلام)، وتنوّع عناصرها المعرفية لا زال يدهش كلّ مَن يسمعه ويأخذ بمجامع قلبه ولا يملك معه السامع إلّا أن يكون

بكلّه آذاناً صاغية، فهيّأت هذه الثنائية ـ وفرة العطاء الفكري والمعنوي لعاشوراء واندفاع السامع وإصغائه لكلّ ما يرتبط بها ـ لظهور أنجح عملية دعوية وأفضل ممارسة تبليغية في تاريخ البشرية تفتقر إليها الثقافات والأديان الأُخرى، واعترف بنجاحها كثير من العلماء والمفكرين من غير المسلمين، واستطاعت على مرّ التاريخ أن تحفظ لنا خط أهل البيت (عليهم السلام) ـ الذي هو جوهر الإسلام وروحه ـ من التحريف رغم ما تعرّض له من محن وشدائد. إنّ الانتصار الذي حققه الامام الحسين (عليه السلام) في كربلاء ليس انتصاراً عسكرياً، فالغلبة كانت للجهاز الحاكم، حيث استُشهد الإمام وأهل بيته وأصحابه، كما هو واضح، ولكن الجميع يتفق على انتصار الحسين (عليه السلام)، من المسلمين وغير المسلمين، حتى سُمّيَ هذا اليوم بأسماء متعدّدة، قبيل: (يوم انتصار الدم على السيف) و(يوم انتصار المظلوم على الظالم) و(يوم انتصار مشروع ألأُمه على مشروع السلطة) إلى غيرها من التسميات والتعابير التي تؤكد هذه الحقيقة.